المرأة والدولة

في فجر الاسلام

للسيدة الباحثة نابية أبوت
ترجمها وعلق عليها : محمد عبد الغني حسن

كان الفاكه من فتيان قريش ، وكان له بيت للضيافة يأوي اليه من بيوت العرب ينشاه الناس . نفلا البيت ذات يوم من الضيفان فاضطجع الفاكه وهند فيه ، ثم نهض لبعض حاجته وعاد فرأى رجلاً خارجاً من البيت فأقبل الى زوجته فضربها برجله وشك فيها وردها الى أهلها . وبذلك عرضها لحديث الناس فيها حتى خاضوا في ذلك كثيراً . فقال لها أبوها : إن الناس قد أكثروا فيك فأنبئيني بنبئك ، فان يكن الرجل صادقاً دسست عليه من يقتله فتنقطع بذلك عنك المقالة السيئة . وأن يك كاذباً حاكمته الى بعض كهان اليمن . فقالت هند : لا والله ما هو عليَّ بصادق . وأنكرتْ ما رُميتْ به إنكاراً شديداً

وخرج الفاكه الى كاهن اليمن في جماعة من بني مخزوم . وخرج عتبة أبو هند في جماعة من بني عبد مناف ومعهم هند ونسوة أخريات . ولما بلغوا الكاهن أعلن براءتها قائلاً : —

امضي غير رسحاء ولا زانية ، ولتلدنَّ ملكاً يقال له معاوية

ولقد قبل الفاكه حكم الكاهن ، ورضي بأن تعود اليه هند ولكنها رفضت ذلك (٤٩)

ونحن نترك لحكم القراء مقدار ما في هذه القصة من خيال وما فيها من حقيقة . وعلى كلّ فهي أول قصة نعرفها عن هند وهي تصورها لنا امرأة تؤمن بتعاليم بلاد العرب الوثنية كما تصورها لنا زوجةً لم تكن فضيلتها فوق رَيْبتها . وسيدةً معتزة بنفسها لها عقل مستقل سريع الفصل في الأمور

وهذه المميزات الثلاث ستظل ملازمة لها طول حياتها كما رأينا ذلك في كتب السير

وكذلك طلقت هند من الفاكه ، ولكنها لم تفقد كثرة الذين تقدموا الى خطبتها . فمنهم مسافر بن أبي عمرو ، وهو شاعر قرشي من غير طبقة الفحول . وقد خطبها الى أبيها بعد ان شغفته حبًّا . وبالرغم من شهرته بالشعر ومن جوده الذي اسبحق من أجله لقب «زاد الركب» فان هنداً لم ترضَ ثروته وماله

(أزواد الركب في جاهلية ثلاثة من قريش ، وهم مسافر بن أبي عمرو ، وربيعة بن الاسود ، وابو أمية

(٤٩) الاغاني ج ٨ ص ٥٠ والعقد الفريد لابن عبد ربه ج ٣ ص ٢٧٣

ابن المغيرة . وانما فعل هم ذلك لانهم كانوا اذا سافروا لم يتزود معهم أحد ؛ ولم يدع بذلك غير هؤلاء الثلاثة — بلوغ الارب ج ١ ص ٩٢ — المترجم)

فرفضت هند الزواج منهُ ولو أن المقالة انتشرت في قريش بأنها اتصلت به اتصال الحبيب بالمحب ، وخشيت على نفسها الفضيحة فسألته أن يرحل عن بلدها . فوفد على عمرو بن هند لعلهُ يصيب عنده من الجاه والثروة ما يمكنهُ من العودة على هند بخطبتها

(هكذا ذكرت الباحثة ، وفي الاغاني ج ٨ ص ٤٩ انه وفد على النعمان ملك الحيرة ، وفي موضع آخر من الاغاني انه وفد على عمرو بن هند — المترجم)

ومن عجب أن الاقدار أنالته ما التمس عند عمرو بن هند ولكنها — ساخرةً — ضنت عليه بتحقيق أمنيته في الزواج من هند تلك الامنية التي ارتحل من أجلها الى عمرو . وكانت هند جاهلة بما أصاب محبها في بلاط الحيرة من نجاح وتقرب . ومن ناحية أخرى فانها لم تنتظر عودة ذلك المحب النائي

وتقدم الى خطبتها بعد ذلك اثنان . وكان لها الخيار في واحد منهما بعد أن سمعت من أبيها (٥٠) صفات خاطبيها الجديدين . أما الاول فهو سهيل بن عمرو ، وقد رفضته على الرغم من نبل محتده وكرمه وسماحة خلقه لانهُ كان مع ذلك كله ضعيفاً

وأما الثاني — الذي نجح في خطبتها — فقد وصف بأنهُ قوي في خلقه زعيم في قومه ، ولم يكن غير أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشي ، وكان واسع الثراء كبير النفوذ تاجراً ناجحاً ورئيساً لقبيلته والزعيم الحقيقي في حكومة مكة

أما خطيبها الاول — مسافر — فلم يطل به أجلهُ بعد ان علم عرَضاً من أبي سفيان — وهو في قافلة الى الحيرة — (٥١) انهُ تزوج هنداً ، فدخلهُ من ذلك النبأ ما اعتلَّ معهُ

(ولا بأس هنا من اكمال القصة كما رواها ابو الفرج الاصفهاني ، فقد استبق بطل مسافر ، ودعا له عمرو بن هند بالاطباء ليكووه فما نفعه ذلك فقال مسافر —

ألا ان هنداً أصبحت منك محرما ... واصبحت من أدنى حموتها حما
وأصبحت كالمقصور جفن سلاحه ... يقلب بالكفين قوساً وأسهما

ولما مات رثاه ابو طالب عم النبي بشعر جاء فيه :

ليت شعري مسافر بن أبي عمـ ... ـرو وليت يقولها المحزون
ورجع الركب سالمين جميعاً ... وخليلي لم يرمس مدفون
بورك الميت الغريب كما بو ... رك الميت القريب والزيتون
بيت صدق على هبالة فاعلم ... ت فما فوقه من الدهر وحزون
مقدم يدفع الخصوم بأيد ... ويوجه يزينه التوجيه
كل خليل رزئته وابن عم ... وحميم فصت عليه الفنون
فتعزيت بالتأسي وبالصبـ ... ـر وأني بعد حبي لصاحب

المترجم عن الاغاني)

---

(٥٠) ابن سعد ج ٨ ص ١٧١ والعقد الفريد ج ٣ ص ٢٧٤
(٥١) الاغاني ج ٨ ص ٤٩ وج ١٩ ص ١٠٥ وكوسان دوبرسفال ج ١ ص ٣٣٦ — ٣٣٨

ولقد أنجبت هند بنت عتبة من أبي سفيان معاوية الذي أصبح فيما بعد خليفة وهو المؤسس الاول لدولة بني أمية . وتاريخ تلك الحادثة مجهول لدينا . ولكنهُ يقع على وجه التقريب في العقد الاول من القرن السابع المسيحي (٥٢) وكذلك أنجبت هند من زوجها أبي سفيان ولداً آخر هو عتبة ، وبنتين هما جويرية وأم الحكم (٥٣)

وكانت هند بالطبع واحدة من زوجات متعددة لأبي سفيان . الاّ اننا لا نعرف الأ القليل عن علاقاتها بضراتها . ويحكي لنا ابن قتيبة في عيون الاخبار — كيف كانت هند تغري أبا سفيان بالعداوة بينهُ وبين زوجته ضُبية بنت عبدالله بن مالك (٥٤) حتى طلقها

(قرأت في بعض المصادر ان اسمها ضبية أم طلحة بن عبيد الله وهي من بنات قريش — المترجم)

ويروي لنا مؤرخو السيرة حادثة واحدة عن هند مدة ظهور النبي في مكة . وتلخص فيما يلي :

كان أبو لهب عم النبي يجاهر بعداوته وخصومته له — تلك العداوة التي استحق من أجلها الثواب والخسران من الله في احدى سور القرآن واستحقت زوجته — ويشار اليها في القرآن بحمّالة الحطب — تلك اللعنة في السورة الحادية عشرة بعد المائة — تلك السورة التي تفردت بلعنة هذين الزوجين

ولم تكن قرابة أبي لهب من النبي هي قرابة العمومة فحسب ، بل اشتبكت تلك العلاقة بزواج ابن أبي لهب من احدى بنات النبي رقية أو أم كلثوم . وكانت امرأة أبي لهب واسمها أم جميل بنت حرب أختاً لابي سفيان : وكانت تكره امرأة ولدها — بنت النبي — كما كرهت أباها محمداً . وقد أغرت زوجها بعداوة النبي وبنته . فقبل أبو لهب اغراءها واضطرَّ ولده الى تطليق زوجته . وترك الهاشميين — وهو واحد منهم — وانضم الى القرشيين من أهل مكة وهم المعروفون بعداوتهم للرسول

وكانت قائمة المعارضين من قريش تضم زعماء عديدين من قرابة هند ، منهم أبوها عتبة وعمها شيبة ، وبالطبع زوجها أبو سفيان . والى الآن لم يكن دور هند في خصومة قريش للنبي مقرراً . ولكن على كل حال لم يتطرق الينا شك في أنها كانت مهتمة بتيارات الحوادث في ذلك الحين

وقد لقيها أبو لهب حين فارق قومه وظاهر عليهم قريشاً فقال لها يا بنت عتبة : هل نصرت

---

(٥٢) الانس في دائرة المعارف الاسلامية ج ٣ ص ٦١٧ (٥٣) كتاب المعارف لابن قتيبة ؛ وابن سعد ج ٨ ص ١٧٤ والاصابة ج ٤ ص ٨٥٤ (٥٤) عيون الاخبار ج ٤ ص ١٠١ وانظر الاصابة ج ٤ ص ٦٦٤ في تاريخ ضبية

اللات والعزى[٥٥] وفارقت من فارقهما وظاهر عليهما ؟ قالت نعم فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة

(في ابن هشام أن قريشاً لما رأت ان الاسلام يفشو في القبائل اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب ، فكتبوا الصحيفة وعلقوها في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم — المترجم عن السيرة ج ١ ص ٢١٥)

ولم تكن كل أسرة هند في جانب الخصومة لمحمد ، فقد كان أخوها أبو حذيفة من أوائل السابقين الى الاسلام . وقد دعا أبو حذيفة أباه عتبة في موقعة بدر الى النزال ، فسخرت هند من أخيها على سلوكه هذا الذي يدل على عقوقه لأبيه[٥٦] . وبعد موقعة بدر سخرت هند كذلك من بنت عمها رملة بنت شيبة التي اعتنقت الاسلام وتزوجت من عثمان بن عفان[٥٧] ، وهناك أيضاً رملة بنت زوجها أبي سفيان التي أسلمت وتزوجت محمداً

ولا نجد لهند ذكراً ظاهراً في تاريخ السيرة إلاّ بعد الحوادث التي ترتبت على واقعة بدر . ولكن لا بد أن نلفت النظر الى قصة غريبة ترتبط هذا بحادثة هجرة زينب[٥٨] بنت النبي الى المدينة . فقد ظهرت هند في هذه الحادثة بمظهر المساعدة لزينب على هجرتها . وتترك لزينب نفسها رواية هذه القصة قالت : « بينا أنا أتجهز بمكة للحوق بأبي ، لقيتني هند بنت عتبة فقالت : يا بنت محمد ! ألم يبلغني أنك تريدين اللحوق بأبيك ؟ قالت فقلت ما أردت ذلك. قالت أي ابنة عمي لا تفعلي ! إن كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك في سفرك أو بمال تبلغين به الى أبيك فان عندي حاجتك ، فلا تضطنئي مني فانهُ لا يدخل بين النساء ما يدخل بين الرجال . قالت : والله ما أراها قالت ذلك الاّ لتفعل ولكني خفتها . فأنكرت أن أكون أريد ذلك وتجهزتُ . فلما فرغت ابنة رسول الله من جهازها قدم لها حموها كنانة ابن الربيع أخو زوجها بعيراً فركبهُ وأخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها نهاراً يقود بها وهي في هودج لها . وتحدّث بذلك رجال قريش . فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طُوى فحنعوها من قصدها. فرجرتهم هند قائلة : اني أراكم في وقت السلم شجعاناً أشداء على الضعفاء ومن لا سند لهم . ولكني أراكم في الحرب كالنساء تلاينون الحديث »

وقد كانت ملاطفة هند كافية للازدراء بالمعتدين على زينب ، ولكن من الصعب أن نعلل تقديمها المساعدة اليها . فان أبا سفيان ومعهُ قريش قد باءوا بالهزيمة وكابدوا خسائر فادحة في غزوة بدر . ولقد أضعفت الهزيمة روحهم وصاروا على استعداد للتغاضي عن فرار زينب . وكذلك كانت هند . فلعلها كانت — وفقاً لهذه الروح السائدة في قريش — متغاضية عن فرار

(٥٥) ابن هشام ٢٣١ (٥٦) ابن سعد ج ٣ ص ٥٩ وبيور ص ٦٠ ، ٢٢٨

(٥٧) ابن سعد ج ٨ ص ١٧٣ والبلاذري : الانساب ج ٥ ص ١٠٦

(٥٨) ابن هشام والطبري وبيور وانظر ايضاً مقالي الانيس في هند فاطمة وبنات النبي

زينب ، ولكن ما كان يصدَّق أن يبلغ بها التقاضي إلى حد أن تقدم اليها العونة المباشرة

وأكثر من هذا — اذا صدَّقنا هذه الرواية — فما أحرانا أن نخلع على هند قدراً من الكياسة الخارجية التي تنافي ما عرف من أخلاقها العامة ، لان سلوكها في هذه الحادثة ينافي ما بقي من نشاطها في العصر الذي نحن بصدد الحديث عنه

ان هنداً التي نقدت أباها وعمها وأخاها في واقعة بدر تناولت مسائل الرجال بقلب المرأة فلقد روى المؤرخون لها كثيراً من المراثي في أبيها ، ولو أن مراثيها الشعرية في موضع الشك . وعلى كل حال ليس هناك ريب في حزنها على من قتل من قرابتها ولا في تصميمها على الأخذ بثأرهم

(في كتب الادب والسير طائفة من شعر هند في رثاء أبيها عتبة ، وهو شعر فيه كثير من الرقة والروعة ولا بأس هنا من ايراد بعضه على سبيل الاستشهاد ، وان كان ابن هشام يذكر أن بعض أهل العلم بالشعر ينكره :

يريب عليناً دهرنا فبسوطنا ... ويأبى فما تأتي بتيء تنالبه
أبعد قتيل من لؤي بن غالب ... يراع أمرؤ ان مات أو ملت صاحبه
ألا ربَّ يوم قد وزنت بزرنة ... تروح وتغدو بالجزيل مواهبه
فأبلغ أبا سفيان عني فأنكا ... فان أنه يوماً فسوف تعاتبه
فقد كان حرب يسعر الحرب انه ... لكل امرىء في الناس مولى يطالبه

وقالت : —

فمن عيني من رأى ... ملكاً كهك رجاله
يا رب بك لي غداً ... في الثالثات وباكيه
كم قاد روا يوم التليل غداة تلك الداعيه
من كل غيث في السنين اذا الكواكب خويه
فلذاك أحذر ما أرى ... فاليوم حتى حذاريه
فلذاك أحذر ما أرى ... فأنا النداة مراميه
يا رب فاتلة غداً ... يا ويح أم معاويه

المترجم عن الدر المنثور ص ٥٣٨)

وكانت مكة بعد وقعة بدر ومزعة قريش فيها تتحرق شوقاً الى الانتقام من المسلمين . ولكنها لم تستسلم الى الاحزان أنفةً أن تتهم بضعف همتها . ألم يصرخ أبو سفيان في قريش قائلاً : — لا تبكوا على قتلاكم . ولا تندبوا مصارعهم ولا تدعوا شعراءكم يرثونهم . وأظهروا لأعدائكم الرجولة والبطولة ، واعلموا انكم اذا بكيتم عليهم ونظمتم فيهم المراثي فان ذلك قد يطفىء نار حقدكم ويقلل من عداوتكم لمحمد وأتباعه . على أن بكاءكم على رجالكم اذا بلغ مسامع أعدائكم فانهم يسخرون منكم ، فيكون هزؤهم بنا وسخريتهم منا أشد علينا من كل مصيبة اوقد يدرككم الحظ فتدركون ثأركم ، أما أنا فقد أخذت على نفسي موثقاً ألاَّ أمس دهناً أو أقرب امرأة حتى أعلن الحرب على محمد .

وقد مرَّ شهر على قريش قبل أن تطفىء نار حزنها . ولم ينقض شهر ثان حتى كانت مكة

كلما تبكي على قتلاها ما عدا عنداً. ولما سألوها : — لماذا لا تذرفين الدموع ؟ ولماذا لا تبكين على أبيك عتبة وأخيك وعمك شيبة ؟ أجابت . — «كلا ! أنا لن أبكيهم حتى تشنوا الغارة مرة اخرى على محمد وأتباعه . واذا كان البكاء يغسل أحزان قلبي ، فأني أبكي عليهم كما تبكون ولكن بكاء هند لا يشفي غليل فؤادها »(٥٩)

اما وقد فقدت هند ثلاثاً من أسرتها ، فهي أجدر النساء بأن تنافس الخنساء في كونها أشد ثواكل العرب . فلقد فقدت الخنساء أباها وأخويها قبل الاسلام ، وظلت تبكيهم في شعر مثير رقيق ، وكان من عادتها — الخنساء — ان تغد الى سوق عكاظ كل عام وقد سومت هودجها براية وهي تعاظم العرب بمصيبتها في شعر رقيق (٦٠)

(روى صاحب الاغاني : — لما كانت وقعة بدر قتل فيها عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة فأقبلت هند بنت عتبة ترثيهم ، وبلغها قسوم الخنساء هودجها في الموسم وساطتها العرب بمصيبتها في أبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية ، وانها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم وتقول : أنا اعظم العرب مصيبة ، وان العرب قد عرفت لها بعض ذلك . فلما أصيبت هند بما أصيبت به ، وبلغها ما صنعت الخنساء قالت أنا أعظم منها مصيبة ، وأمرت بهودجها فسوم براية وشهدت الموسم بعكاظ فقالت : اقرءوا علي بجمل الخنساء فقلوا . فلما دنت منها قالت لها الخنساء من أنت يا أخية ؟ قالت أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة ، وقد بلغني انك تعاظمين العرب بمصيبتك ، فبم تعاظمينهم ؟ فقالت الخنساء : بصخر ابن الشريد وصخر ومعاوية ابني عمرو ، وبم تعاظمينهم أنت ؟ قالت بأبي عتبة وعمي شيبة وأخي الوليد . قالت الخنساء : أو سواء هم عندك ؟ ثم أنشدت تقول : —

أبكي أبا عمرو بعين غزيرة ... قبل اذا قام الخليّ هجودها
وصنويّ لا أنسى معاوية الذي ... له من سراة الحرتين وفودها
وصخراً ومن ذا مثل صخر اذا غدا ... بسابية الابطال قبا يقودها
فذاك يا هند الرزية فاعلمي ... ونيران حرب حين شب وقودها

فقالت هند تجيبها : —

أبكي عميد الابطحين كليهما ... وحاميهما من كل باغ يريدها
أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمي ... وشيبة واحمي الذمار وليدها
أولئك آل المجد من آل غالب ... ولن الفخر منها حين ينمي عديدها

المترجم عن الاغاني)

ولم تكن الحكومة بين الثاكلين قاطعة الى ان جاء الاسلام وفقدت الخنساء اولادها الاربعة في واقعة القادسية (٦١) ، فاعترف للخنساء بثكلها الذي لا يدانيه ثكل امرأة أخرى في تاريخ العرب جاهليتها واسلامها

كانت قريش تعد العدة للاخذ بثأر قتلى بدر ، ولتدفع عنها عار الهزيمة التي لحقتها في تلك الوقعة ، وكان أبو سفيان أبرز المشركين في مكة وأكثر ظهوراً في تلك الحوكمات العادية

(٥٩) سيرة ص ٦٣٦ والواقدي في كتابه المغازي طبع كالكتا ص ١٤ — ١٨
(٦٠) الاغاني ج ٤ ص ٣٤ والاب لويس شيخو اليسوعي في كتابه السابق
(٦١) الاصابة ج ٤ ص ٥٥١ والاب لويس شيخو في كتابه السابق

التي لقيت من هند رضاءها ونالت استحسانها . وكانت هند بحكم كونها زوجة أبي سفيان — ان لم تكن بحكم عداوتها الخاصة للمسلمين — زعيمة النساء في تلك الحركة . وكان يوم الانتقام يبدو قريباً ، وهند مع نسائها على أهبة الاستعداد له

خرجت قريش وعلى رأسها أبو سفيان الى وقعة أحد سنة ٣ من الهجرة المقابلة لسنة ٦٢٥ ميلادية . ومعها النساء

(والدفوف والمزاهر وآلات الملاهي والحور والبغايا — عن محمد رضا ص ٢٥٤ — المترجم)

والاصنام على عادة الجاهلية . ويعتقد أكثر المؤرخين زعماء قريش الذين صحبوا معهم زوجاتهم وأمهاتهم . وقد أخذ أبو سفيان معهُ زوجته هنداً . ويروي بعضهم أنهُ استصحب زوجة أخرى له تدعى أميمة بنت سعد (٦٢)

خرج النساء بزعامة هندٍ ، وعددهنَّ أربع عشرة أو خمس عشرة

(سبع عشرة تبعاً لرواية محمد رضا ص ٢٥٤ — المترجم)

وهنَّ خلاصة الطبقة الراقية في مكة ، وقد لعبنَ في هذه الموقعة الدور الذي تلعبهُ المرأة العربية في الحروب العامة ، انتماماً للحفيظة ومنعاً للرجال من الفرار . خرجنَ يغنينَ وينشدنَ الأناشيد ويضربنَ الدفوف ويرقصنَ ويرتمينَ في الميدان غير مباليات بالخطر . فاذا رآهنَّ الرجال على تلك الحال اضطروا الى القتال أو الموت . وعلى الجملة فقد كانت هند وعصبتها من النساء يمثلنَ في وقعة أحد دور المحضضات على القتال . وقد قامت هند بدورها في نشاط عجيب ، وروح طيبة (٦٣) . ولم يقلَّ بقية النساء عنها شجاعة

(روى ابن هشام ان هنداً قامت في النسوة اللاتي كن معها ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم فقالت هند فيما تقول :

ويها بني عبد الدار ويها حماة الادبار
ضربا بكل بتار
ان تقبلوا نعانق ونفرش النمارق
أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

المترجم — عن سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٨)

وحينما سقط لواء قريش من يد حامليه أخذته عمرة بنت الحارث زوجة غراب بن سفيان فرفعته لقريش (٦٤)

ولما انتهت الوقعة بانتصار قريش كانت الساعة التي انتظرها هند للانتقام قد حلَّت . وكانت هند قبل الوقعة وفي خلالها تغري حبشياً يقال له وحشي بالرماية لأنهُ كان يحبها

(وكانت تقول له محرضة : ويها أبا دسمة ! اشف واشتف — المترجم عن ابن هشام ص ٦٦)

ولم تكتف هند بأن وحشياً قتل حمزة الذي قتل أباها يوم بدر ، ولم يشف غليلها قتله

---

(٦٢) ابن هشام والواقدي والطبري والاغاني ج ١٤ ص ١٢
(٦٣) ابن هشام والواقدي والطبري والاغاني ج ١٤ ص ١٧ (٦٤) الواقدي ص ٢٠١

بل ذهبت اليه لتراه يخبط في دمائه وتشفي غيظها عند جسده . وهنا يصور لنا مؤرخو السيرة هنداً في صورة الشيطان ، فقد بقرت عن كبد حمزة فلاكتها ، فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها . وأخذت تمثل بالقتلى وتقطع الآذان والأنوف حتى اتخذت منها خدماً وقلائد (٦٥)

(وأعطت خدمها وقلائدها وترقتها وحشيا لبابتي غلام جبير بن مطعم — ابن هشام ص ٨٤)

ثم علت على صخرة مشرفة ، فصرخت — أمام عدوها الضرج في دمائه — عن سرورها وانتصار قومها وأخذها بثأر أبيها في شعر هجائي قوبل بالرد من بعض النساء المسلمات . كما رد عليه حسان بن ثابت (٦٦) بعد ذلك بزمن

(في سيرة ابن هشام طائفة من شعر هند بنت عتبة في موقعة أحد أذكر منه هذه الابيات : —

نحن جزيناكم بيوم بدر ... والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر ... ولا أخي وعمه وبكري
شفيت نفسي وقضيت نذري ... شفيت — وحشي — غليل صدري
فشكر وحشي علي عمري ... حتى ترم أعظمي في قبري

فأجابها هند بنت أثاثة بن عباد بن عبد المطلب من نساء المسلمين بقولها : —

خزيت في بدر وبعد بدر ... يا بنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر ... بالهاشميين الطوال الزهر
كل قطاع حسام يفري ... حمزة ليثي وعلي صقري
اذ رام شيب وأبو لهب غدري ... فخضبا منه ضواحي النحر
فنذرك الشوء فشر نذر

وقد حذف ابن هشام منها ثلاثة ابيات أقذعت فيها في الهجاء ، ومما يدل على شفاء هند غليل نفسها بقتل حمزة والتمثيل به قولها من أبيات أخر :

شفيت من حمزة نفسي بأحد ... حتى بقرت بطنه عن الكبد
أذهب عني ذاك ما كنت أجد ... من لذعة الحزن الشديد المشتد

وقد رد عليها حسان رداً مقذعاً أستحي هنا من ايراده ، فمن شاء ان يقرأه فليرجع الى ديوان حسان ابن ثابت طبع مطبعة السعادة وشرح الحافظ المصري محمد الشنقيطي ص ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٨٨ — المترجم)

ومن الصعب ان يصدق الانسان ان هنداً بنت عتبة — وهي السيدة الشريفة في مكة — قد ذهبت في الانتقام المروي عنها مذهب البرابرة الغلاظ الأكباد. ولقد ذهب «ميور (٦٧)» من زمن بعيد الى ان مؤرخي السيرة قد بالغوا في تصوير هند في صورة هذا الغيظ المزبد. كما ذهب الأب « لامنس (٦٨) » الى أبعد من هذا حينما ذكر ان حادثة تمثيلها بحمزة لم تكن الا من مخترعات العباسيين . وهذان الرأيان يعززهما ما ذكره ابن سعد صاحب الطبقات بعد ان روى الحادثة فقد أضاف اليها رأية الخاص قائلاً «تلك حملات قاسية على هند السكينة (٦٩)» . وقد يكون من المهم ، في هذا الصدد ، أن نلاحظ أن ابنها معاوية — مؤسس الدولة الأموية وخصيم العلويين والعباسيين — يشار اليه عالياً في كتب السير بابن آكلة الاكباد (٧٠)

(٦٥) ابن هشام وابن سعد ج ٣ ص ٥ والواقدي ص ٢٧٩ والطبري والبلاذري ١ ٦٩) ابن هشام والطبري والاغاني ج ١٤ ص ٢٠ وديوان حسان بن ثابت (٦٧) ميور ج ٣ ص ١٢٩ (٦٨) الأم العرب الشرقية ص ١٢٤ (٦٩) ابن سعد ج ٣ ص ٦ (٧٠) العقد الفريد ج ٢ والفخري لابن الطقطقي طبع باريس ص ١٤٥